



(غزوة في الشعب؛ فلا تسلموها)

خطبة صلاة الجمعة 2025/7/25 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: 155-157]

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

قال ابن حجر: ("ولا يسلمه" أي لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه).

قال ابن الأثير الجزري: ("أسلم فلان فلاناً": إذا لم يحمه من عدوه، وألقاه إلى التهلكة).

عنوان خطبة اليوم:

غزوة في الشعب؛ فلا تسلموها

أيها الإخوة:

جاء في كُتب السيرة - السيرة الحلبية، وسيرة أبي الحسن الندوي -:

(اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا.

وقالوا لقومه: خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحون أنفسكم، فأبى قومه.

فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب، وإخراجهم من مكة إلى شعب أبي طالب، وحصارهم فيه، والتضييق عليهم بمنع حضور الأسواق.

وقالوا: لا تنكحوهم، ولا تنكحوا إليهم، ولا تبيعوهم شيئاً، ولا تبتاعوا منهم شيئاً، ولا تقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذكم بهم رافة حتى يُسلموا رسول الله ﷺ للقتل.

وكتبوا بذلك صحيفةً وعلّقوها في الكعبة، توكيداً على أنفسهم.

فلما فعلت ذلك قريش، انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، وذلك في محرّم سنة سبعٍ من النبوة.

وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد المطلب، وكان مع قريش.

وأقام بنو هاشم على ذلك حتى جهدوا من ضيق الحصار، وأكلوا الخبط وورق الشجر.

وقريشٌ تحول بينهم وبين التجار، فيزيدون عليهم في السلعة أضعافاً، حتى لا يشتروها. فكانوا إذا قدمت العيرُ مكة يأتي أحدهم السوقَ ليشتري شيئاً من الطعام يقتاته، فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم، فقد علمتم مالي ووفاء ذمّتي، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يده شيء يعلّهم به، فيغدو التجار على أبي لهب فيُربّجهم.

ومكثوا على ذلك نحو ثلاث سنوات، لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً، ممن أراد صلتهم من قريش.

ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وبنو هاشم صابرون محتسبون.

وقام نفر من قريش، من أهل المروءة والضّمائر، فكرهوا هذا التعاقد الظالم، وعافته نفوسهم، فقالوا: يا أهل مكة! أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يُباع لهم ولا يُبتاع منهم؟! والله لا نقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفة الظالمة.

وتدخّل أبو جهل في الحديث، فلم يُفد، وقام المطعم بن عديّ إلى الصحيفة ليُشقّها، فوجد الأَرْضة قد أكلتها إلا "باسمك اللهم" وكان النبي ﷺ قد أخبر بذلك أبا طالب، ومُرّقت الصحيفة وبطل ما فيها).

واليوم أيها الإخوة:

تعيش غزوة في ذات الشعب فتُحاصرُ كما حوصروا، وتُقاتل كما قوتلوا، ويُمنع عن أطفالها ونسائها ورجالها الطعام والشراب، لا لشيء إلا لتترك الذودَ عن الحق، ولتتخلّى عن العقيدة ولتستسلم للباطل وجنده.

يسمع العالم بكاء أطفالهم، ويرى نُحول أبدانهم، ويراقب موت أشخاصهم. فهل من قائم من أهل المروءة والضمائر يقول: يا أهل الأرض! أنأكل الطعام ونبس الثياب وبنو غزّة هلكى، لا يُباع لهم ولا يُبتاع منهم؟! والله لا نقعد حتى يُفكَّ هذا الحصارُ الظالم.

لقد كان حصارُ الشَّعب وتجويعُ الأطفال والنساء والشيوخ والشباب بلاءً كبيراً، بلاءً للمؤمنين فصبروا فيه وفازوا، وبلاءً للكافرين فخابوا فيه وخسروا، وبلاءً للقادرين على العون ففاز من أعان وخاب من حَذل.

أما ثواب صبر المؤمنين في الشَّعب فاعلموا -أيها الإخوة- أن رسول الله ﷺ لما أُسري به في رحلة الإسراء والمعراج بعد سنة من فكِّ الحصار كان الإسراء به من نفس ذلك الشَّعب؛ ففي السيرة الحلبية: (قال ﷺ: «إن جبريل أتاني»، وفي رواية: «أسرى به من شعب أبي طالب»).

واعلموا -أيها الإخوة- أن المسلمين لما فتحوا مكة دخل رسول الله ﷺ مكة من جهة ذلك الشَّعب الذي حوَّصر فيه، ونُصبت رايته هناك.

(فعن جابر رضي الله عنه: لما رأى رسول الله ﷺ بيوت مكة وقف، فحمد الله وأثنى عليه، ونظر إلى موضع قُبَّته، وقال: «هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا»، قال جابر رضي الله عنه: فذكرت حديثاً كنتُ سمعتهُ منه ﷺ قبل ذلك بالمدينة: «منزلنا إذا فتح الله تعالى علينا مكة في خيفِ بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر» أي لأنَّ قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يُناكحوهم، ولا يُبايعوهم، حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ) [السيرة الحلبية].

فلتستبشرْ غزّة المؤمنة الصابرة بأنَّ رفعة درجاتها وأنَّ الفتح العظيم للأمة سيكون منطلقاً من أرضها بإذن الله، فإنَّ أحداً لا يعمل لله عملاً إلا كافأه الله به رفعةً في الدارين ونصراً فيهما.

وأما عقاب الكفرة الفجرة فقد تولَّى كِبَرُ الحصار -مع كفرة قريش- أبو لهب وأبو جهل، وكتب الصحيفة منصور بن عكرمة؛ فأما منصور فشُلَّت يده، وأما أبو جهل ففُتِلَ في بدر وقال ﷺ: «الحمد لله، هذا فرعون هذه الأمة»، وأما أبو لهب فرماه الله بعدسة -وهي قرحة قاتلة كالطاعون- فلم يمكث إلا سبعاً حتى مات (فلقد تركه ابنه في بيته ثلاثاً ما يدفنه حتى أنتن، وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش: وَيَحْكُمَا! ألا تستحيان، إنَّ أبكما قد أنتن في بيته لا تدفنه! فقالا: إنما نخشى عدوى هذه الفُرْحَة، فقال: انطلقا، فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسَّلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم اِحْتَمَلُوا إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار ثم رضمو عليه الحجارة) [دلائل النبوة للبيهقي].

فليستعد قادة الكيان المجرم ومن يواليهم لعاقبة كعاقبة أبي لهب وأبي جهل ومنصور بن عكرمة.
وأما ثواب من أعان أهل غزة من القادرين؛ فقد كان حكيم بن حزام ممن يُدخِلُ الطعامَ للمسلمين في
الشَّعب على شركه، فأكرمه الله بالإسلام، فأسلم يوم فتح مكة، وكان من أشرف قريش ووجهها في
الجاهلية والإسلام، وعاش مئة وعشرين سنة، ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام.
ومثله هشام بن عمرو بن ربيعة فقد كان ذا شرف في قومه، وكان أول من قام بنقض الصحيفة الظالمة
فأكرمه الله بالإسلام يوم الفتح.

ومثله زهير بن أبي أمية، فقد أكرمه الله بالإسلام.
فليستبشر كل من أعان أهل غزة على فك هذا الحصار بالخير العميم، وليستبشر كل من خذلم وكان
قادراً بالهلكة والبوار.
أيها الإخوة:

إذا كانت غزة تذود عن الأمة فلتندد الأمة عن غزة، فقد أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله، وأبي
طلحة رضي الله عنهم: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حَرَمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي
مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرَأٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ
حَرَمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ».

والحمد لله رب العالمين